كلمة افتتاحية

عالجنا المسألة السكانية من قبل فى أكثر من مؤلف ، ودرجنا على معالجتها بالطريقة التقليدية التى كانت تتلاءم مع الوضعية الإجتماعية للقطاع الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة ، وقد تبينا ـ فى ضوء التجربة العلمية ، وعلى هدى الدراسة التكاملية ، ضرورة تطوير الدراسات الديموجرافية تطويراً يقابل الأهمية النسبية لحاجة جمهوريتنا العربية للإفادة من هذه الدراسات فى تصميم وتخطيط برامجها الإصلاحية ، وفى تحقيق ايديولوجيتها الاشتراكية الديمقراطية التعاونية ، وفى مساوقة علاقاتها ومحاولاتها الحيوية وفعاليتها بين مجموعة قطاعات الأمة العربية ، وأسرة الشعوب الآسيوية الأفريقية . ولذلك فقد استهدفنا من وراء هذا الكتاب معالجة ديموجرافية الأمة العربية باعتبارها تمثل كتلة بشرية متكاملة الفاعلية ، متجانسة فى الثقافة الروحية والمادية ، موحدة فى أهدافها القومية ، تجمعها شخصية اثنولوجية ثقافية فذة ، وترتبط بمنطقة بيئية لها مشخصاتها الاكيومينية[1] العمرانية ، باعتبارها منطقة « التقائية تواصلية [2] » سواء من الناحية السلالية أو الحضارية أو الثقافية أو الفيزيائية الجغرافية الطبيعية .

كما أننا وضعنا نصب أعيننا إبراز اتجاهنا التكاملى الإجتماعى ، وخاصة من الناحية الوظيفية[3] وذلك صدى لإيماننا بأن هناك وحدة ديموجرافية وظيفية بين قطاعات الأمة العربية الاسيو افريقية ، فليست الوحدة

---

(١) يقصد بالأكيومينية النواحى العمرانية Oeknmenical

(٢) Fisher, W. B. The Midddle East, London 1950.

(٣) الطريقة الوظيفية Functional Approach.

الديموجرافية التى تصل بين هذه القطاعات مجرد تعاطف سيكلوجى أو تآلف آدبى أو تجاذب روحى ، وإنما هى مركب متكامل الأوصال والوظائف ، بحيث لو جردنا الحدود السياسية المصطنعة من آثارها التجزئية والانعزالية ، لتكاملت نسبة التفاوت فى الكثافة السكانية بين قطاعات الأمة العربية ، ولتيسر توطين المواطنين العرب ، وفق ما تقتضيه معادلات الضغوط الديموجرافية المتفاوتة ، وبدون أدنى إحساس بوجود ما يستلزم الحيطة والتردد أو توقع الصدام أو الصراع بين أبناء الوطن العربى الكبير . ذلك لأن الوحدة الديموجرافية ، تستند إلى دعائم وأصول موغلة فى أصالتها ، متمثلة فى التجانس اللغوى ، والتقارب الروحى والدينى ، والإمتزاج الثقافى والمناخ الحضارى والكفاح القومى ، ولا شك أن الدراسة الديموجرافية للأمة العربية تعكس صورة من سوء التوزيع السكانى بين أجزاء الوطن العربى ، فهناك مناطق تعانى نقصاً كبيراً فى كثافة سكانها [١] بالنسبة لإمكانيات واحتمالات عمرانها ، كالمملكة الليبية والجمهورية السودانية والقطاع الشمالى من الجمهورية العربية ، وفى مقابل ذلك نجد أن القطاع الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة يعانى تضخما وكثافة متزايدة فى سكانها [٢]

وقد سلمنا الاتجاه المعاصر فى تأكيد أهمية المضمون العملى للوحدة الديموجرافية للأمة العربية كضرورة اجتماعية ، منبثقة من خريطة التوزيع السكانى ، إذا نحن وضعنا فى الاعتبار الامتداد المتصل للوطن الاقليمى الطبيعى ، والواقع أننا إذا قدرنا الظروف المعيشية والمستويات الإقتصادية والثقافية والأنماط الحضارية التى تنطوى عليها البيئة الكلية ، لانتهينا إلى اعتبار الوحدة الديموجرافية كضرورة اقتصادية وعمرانية وحضارية من المفيد والجدير أن تحقق تحققاً فعلياً آنياً .

---

(١) يطلق على هذه الظاهرة اصطلاح التخلخل السكانى Underpopulation

(٢) » » » » » التزايد السكانى Overpopulation

هذا ولم نشأ أن نحصر علاجنا للمسألة السكانية فى النطاق المحلى أو فى الإطار العربى القومى ، بل جاوزنا ذلك بالطبع إلى المجال الدولى ، وخاصة فيما يتعلق بالمشكلات الديموجرافية التى لا يمكن علاجها منعزلة أو منفصلة عن الأوضاع العالمية وما يحيطها من عوامل دولية واتجاهات سياسية فلم نغفل الاشارة إلى مشكلة الطرد القسرى للسكان العرب الأصليين من أرض فلسطين ، التى جاءت وليدة تآمر الحركة الصهيونية مع القوى الاستعمارية العالمية ، وناقشنا مشروعات توطين اللاجئين ، كما نبهنا الأذهان إلى عمليات التهجير وسياسة تخليس[1] ، سكان بعض الإمارات العربية لكبت الانتفاضات القومية .

ولما كانت الدراسات الديموجرافية لها أهميتها فى النواحى العملية التطبيقية ، فقد أبرزنا بعض النواحى المتصلة بهذه الجوانب فى القطاع الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة ، مستعينين فى ذلك بالسياسة التخطيطية للخدمات الصحية والإجتماعية والثقافية والبرامج التصنيعية لرفع مستويات المعيشة ، ومشروعات حصر القوى العاملة ، ومشروعات الإسكان والتوطين ، واتجاهات الهجرة المحلية من البيئات الريفية إلى البيئات المدنية ، وأوضحنا السمات العامة للسياسة السكانية المعاصرة ، ومدى توافقها مع الديديولوجية الإشتراكية الديموقراطية التعاونية ومقتضيات انتفاضتنا الصناعية ، وتحرر المرأة العربية وإشراكها فى الجهود الإنتاجية .

ونظراً لما نعلقه من أهمية علمية على الأسس النظرية للمسألة السكانية ،

---

(١) يقصد بالتخليس جلب عناصر دخيلة من غير أقوام المستوطنين للامتزاج بهم . وذلك الاصطلاح أخذته من اشتقاق لفظ « خلس » الذى استخدمه الجاحظ فى كتابه الحيوان عن الشخص الذى ينتسب إلى والدين من قومين مختلفين .

فقد خصصنا الباب الأول من هذا الكتاب ، لتناول هذه الناحية بصورة شاملة .

وبهذا نكون قد حاولنا أن نقدم للمتخصصين فى الدراسات الإجتماعية ، والمعنيين بالشئون العربية ، نموذجاً من الدراسة التكاملية للمسألة السكانية فى الأمة العربية .

ونأمل أن يتابع المتخصصون والمصلحون الإجتماعيون هذا اللون من الدراسة بصورة مستفيضة دينامية متطورة .

والله ولى التوفيق

نوفمبر ١٩٥٩ أحمد الخشاب